

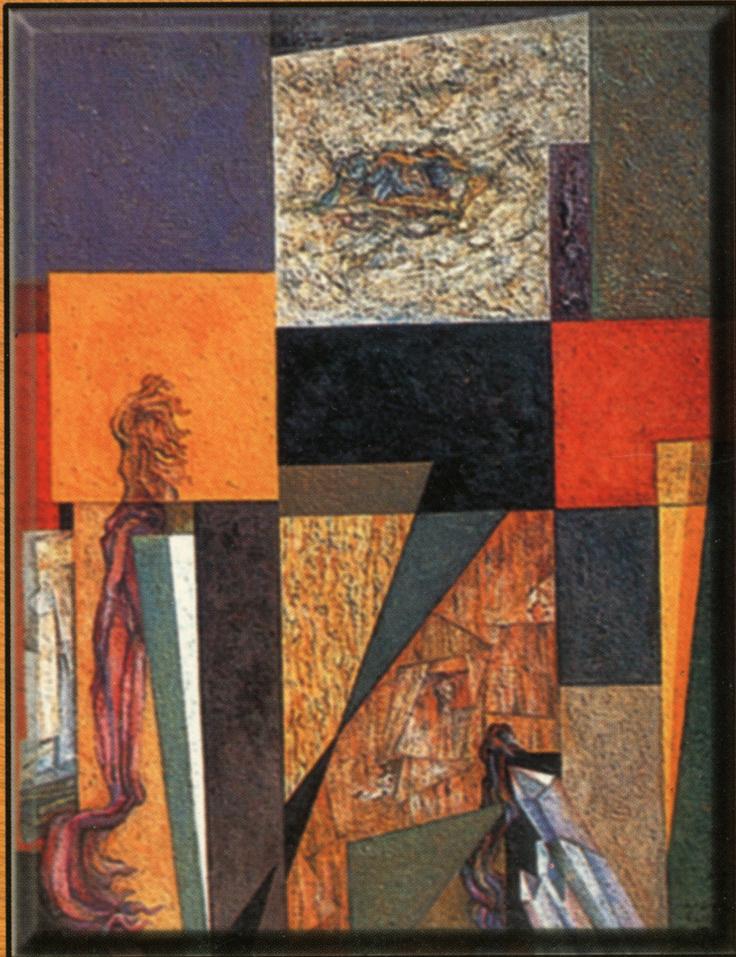
مهرجان القراءة للجميع

الأعمال الفكرية

مكتبة
الأسرة
1999

تجديد الفكر القومي

د. مصطفى الفقى



لوحة للفنان، عبد الرحمن النشار



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

تقديم

لعبت القوميات دورًا رئيسًا في تاريخ الإنسانية ، وكانت طرفًا مباشرًا في كل الصراعات التي عرفتتها البشرية . فكلمة « القوم » تعبير عن نزعة ذاتية ، وخصائص مشتركة تميز البعض عن الكل ، وتعطى إحساسًا بالانتماء ، يجعل « المسألة القومية » سابقة على كل الاختلافات الدينية أو التوجهات الفكرية ؛ لأنها رابطة لا تخلو من انحياز ، يصل إلى حد التعصب الذي يؤدي ، في كثير من المناسبات ، إلى الربط بين القومية والعنصرية ، مع اعتبار أن عصر القوميات هو عصر نشوء الدولة ، بعد بلورة شخصية الشعوب واكتمال نضوج الأمم . والشرق الأوسط عرف ، عبر تاريخه الطويل ، أقوامًا في أرجائه المختلفة ، جاء ذكرهم في الكتب المقدسة ، وترددت حولهم الروايات الدينية (*) ، إلى أن أصبح الإسلام هو الدين الغالب بين سكان تلك المنطقة من عالمنا المعاصر ، وأضحت العروبة هي التيار القومى السائد ، انتسابًا إلى اللغة الواحدة والخصائص الثقافية المشتركة ، بالإضافة إلى تشابه الظروف التاريخية وتداخل الموجات الحضارية بين شعوب الأمة العربية .

ولقد فكرت في أن أكتب عن تجديد الفكر القومى ، دون الوقوف عند مجرد إحيائه ، لأن مفهوم التجديد ينطوى على دلالات الإحياء مع التغيير ، وليس مجرد استعادة روح خفت حماسها أو ضعف تأثيرها . فالتجديد يعنى ، بالدرجة الأولى ، أن عودة الروح تقترن بتطورات جديدة ، وتستوعب التحولات التى حدثت ، والتغيرات التى طرأت على الساحة السياسية فى الوطن العربى ، منذ انتهاء فترة المد القومى ، الذى تعرض لموجة انكسار تدخل الآن عقدها الثالث .

ولابد ، فى مستهل هذا الكتاب ، أن أقدم ، وبوضوح ، دوافعى لارتياح هذا الطريق

(*) عرف الشرق الأوسط القديم أقوامًا ، مثل : « عاد » و « ثمود » و « لوط » وغيرهم ، حيث جاء ذكرهم فى التوراة ، والإنجيل ، ثم القرآن الكريم ، وإن اختلفت المسميات لنفس الأقوام فى سياق القصص الدينى .

واختياري موضوع تجديد الفكر القومي ، أو البعث المتطور للحركة العربية الواحدة . ويمكن التعرض لهذه الدوافع في عدد من الاعتبارات ، أهمها ما يلي :

أولاً : إن الحركة القومية قد عرفت موجات المد والجزر ، وحالات التقدم والانحسار لأنها بطبيعتها حركة أمة ، وارتباط شعوب ، وتعبير أصولي يعنى العودة إلى الجذور القومية واستعادة أجداد التاريخ الواحد . وروح الأمم لا تنتهى . . كما أن الشعوب لا تفنى . . قد تتغير المسميات ، أو تتبدل الكيانات السياسية والأشكال الدستورية ؛ ولكن « ذات » الأمة لا تغيب ، كما أن وجودها لا يتحول إلى عدم .

من هنا ، فإن الظروف التي تواجهها الأمة العربية ، في سنواتها الأخيرة ، هي ظروف صراع سياسى ، وتضارب في الرؤى ، واختلاف حول الأولويات . ولكن الروح القومية لم تتغير . كما أن رابطة العروبة لا تبدو محل جدل فكرى ، بقدر ما هي موضع اهتمام سياسى . ولقد عرف العرب لحظات مجد قومي ، كما عرفوا لحظات انكسار تاريخي ؛ وتعلمت الأمة في الحالتين أن ماضيها موصول بحاضرها ، وأن مستقبلها مرتبط بقدرتها على الصمود الجاد والمواجهة الشجاعة ، والحركة المستمرة .

ثانياً : إن الفكر القومي العربى ، يختلط تاريخيا بتاريخ الإسلام في المنطقة . ويستخدم الجدل دائماً : هل العروبة هي التي حملت الإسلام إلى الشعوب التي قبلته ، والأمم التي آمنت به ؟ أم أن الإسلام هو الذى أعطى هذا المجتمع الجاهلى ، في شبه الجزيرة العربية ، قدرة الانطلاق نحو آفاق الفتوحات الإسلامية ونشر الدعوة ؟ مع التسليم بأن العربية هي لغة القرآن الكريم وأن رسول الإسلام عربى ؟

ولاشك أن ذلك الجدل يعبر عن إشكالية مصطنعة . فمفهوم العروبة ، يعنى ضمنا استيعاب الثقافة الإسلامية ، واحتواء تاريخ الدعوة ، كنقطة محورية في تجسيد الشخصية القومية ، ويجعل الحديث عن الحضارة العربية الإسلامية مسألة مقبولة لدى العرب جميعا دون النظر في معتقداتهم الدينية ، أو اختلافاتهم الفكرية .

ثالثاً : إننا ، حين نتحدث عن تجديد الفكر القومي العربى ، لا نقف في مواجهة مباشرة مع الروافد الحضارية الأخرى لذلك الفكر . إننا نؤمن بأن حضارة الأمم وتاريخ الشعوب هما تراكم طبيعى لطبقات متتالية من ثقافات متعددة ، وفدت على الأرض العربية ، وتركت بصماتها التي بلورت في النهاية الشخصية الثقافية لسكانها . إننا نؤمن بأن حركة التاريخ حركة تراكمية ، وليست بالضرورة حركة تصادمية . فنحن لا نجد ، ونحن نتحدث عن تجديد الفكر القومي العربى ، غضاضة في أن نتحمس أحياناً للفرعونية في مصر ، أو البابلية في

العراق ، أو الفينيقية في الشام ، أو تاريخ البربر في شمال إفريقيا ؛ فتلك كلها رواسب حضارية ، ومظاهر تاريخية ، انصهرت بها في النهاية شخصية العرب ، وتبلورت قوميتهم .
إننا ، باختصار ، نعترف ، في إطار الدعوة إلى التجديد القومي ، بالخصوصية القطرية في إطار قومي ، وبالمزاج الشعبي ضمن أمة عربية واحدة .

رابعاً : إن انشغال الدول العربية بمشكلاتها ، وانصرافها إلى شئونها ، لا يعنيان بالضرورة ، أن حالة الانزواء القومي أو الانكفاء المحلى سوف تستمر ، خصماً من حساب المصلحة العربية العليا ، بل قد يكون العكس صحيحاً ، إذ إن الوضع العربي الراهن يستوجب ، أكثر من أى وقت مضى ، ضرورة التفكير الجدى في البحث عن صيغة عصرية للمد القومي ، تستوعب في ذاتها كافة المتغيرات ، وتحتفظ في ضميرها بكل الثوابت .

خامساً : يهمنى أن أسجل بداية ، أنه يتعين علينا أن نلتزم بأكثر قدر من الموضوعية والحياد الأكاديمي ، حين نتعرض بالإشارة إلى تاريخ الحركات القومية المعاصرة في المنطقة العربية ، دون تحامل على اتجاه معين أو حركة بذاتها ، لأسباب فكرية أو تعصب قطري . فموقفنا من حركة البعث العربي لا يتناقض مع موقفنا من التيارات الناصرية ، ولا يكون تفهمنا لفكر القوميون العرب خصماً من تقديرنا لحركة الوجوديين الاشتراكيين ، أو على حساب اليسار القومي برغم كل تحالفاته التاريخية أو انتكاساته الحالية .

بل إننى أزيد على ذلك ، أننى لا أجد حرجاً في أن أقرر أن كثيراً من المسلمات في تاريخنا القومي الحديث ، تحتاج إلى مراجعة أمينة ، وتوصيف دقيق ، وتحليل صادق . فأننا ، مثلاً ضد تجريم « الحزب القومي السوري » ، وأرى أنه قد آن الأوان لرد الاعتبار إليه ، وإنصاف قيادته ، لأنه يعبر عن اجتهاد قومي في مرحلة معينة ، ويعد تجسيداً للمعنى القومية وتمهيداً لأمل الوحدة .

إننى أكرر أن كثيراً من المعطيات المقبولة في تاريخنا القومي ، ما زالت تحتاج إلى إعادة دراسة وتدقيق موضوعي ؛ فالأصنام التاريخية ضد طبيعة العقل ، كما أن الأحكام المطلقة ضد حركة التاريخ .

سادساً : إذا كانت الثورة العربية الكبرى ، التي قادها « الشريف حسين » في ظل ظروف الحرب العالمية الأولى ، هي محاولة قومية للخلاص من الحكم العثماني في مرحلة احتضاره فإن ثورة ١٩٥٢ المصرية تمثل مواجهة عربية شاملة ، تجاوزت حدود مصر ، لتعبر عن حركة عربية واحدة ، ضد رموز التبعية السياسية والسيطرة الأجنبية . وفيما بين الثورتين ، تعددت

المحاولات ، وتنوعت الرؤى ، في إطار شامل يؤمن بوجود أمة واحدة ، ذات خصائص مشتركة وضمير قومي لا خلاف حوله .

ومن هنا ، فإن أى حديث حالياً ، عن الفكر القومي العربى المعاصر ، إنما يعنى بالضرورة ، شيئاً مختلفاً تماماً عن الطرح السائد من قبل . فنحن اليوم نستوعب جميع المستجدات على الساحتين الدولية والإقليمية ، بدءاً من الشكل الجديد للنظام الدولى وانتهاء باتفاقيات السلام القادمة بين العرب وإسرائيل .

إننا ، باختصار ، لا نقف جامدين أمام رموز فكرية ، ولا نردد صياغات جامدة ، كما لا ندور حول شعارات عفا عليها الزمن . بل إننا نؤمن ، وعن يقين كامل ، بأن هناك أمة عربية تواجه أكبر مأزق قومي فى تاريخها الحديث ، وأنها أصبحت فى حاجة إلى استحضار عاجل لذاكرتها القومية ، واستعادة ملحة لتضامنها المفقود ، مع استيعاب واع لكل المتغيرات وإيمان عقلانى بالثوابت . . . أمة عربية فاعلة ، تمارس دوراً حضارياً فى عالمنا المعاصر . . . أمة عربية قادرة على أن تبرأ من رنين اللفظ ، حتى لا يصفها الغير بأنها « ظاهرة صوتية » . . . أمة صادقة مع نفسها ، تقول ما تؤمن به ، حتى لا يتهمها الآخرون بازدواج الشخصية . . . أمة إيجابية ، تسعى إلى الأخذ والعطاء مع الدنيا من حولها ، دون تعصب أو انحياز ، دون عفوية أو اندفاع . . . تحكم مسيرتها يقظة الضمير القومى . . . وتحدد طريقها صحوة العقل العربى . . . ويشدها نحو المستقبل فكر متطور وروح متجددة .

د . مصطفى الفقى



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود
ولاموعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة
عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل -
للشباب - للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع
نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم
يخطو ويكبر ويتعاضم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة
لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن
مصر كانت ومازلت وستظل وطن الفكر المتحرر والفض المبدع
والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك



قرش جنينى
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع